طوارق الهقار: دراسة مقارنة بين كتاب "في قلب الهقار الغامض" لإيميل ستينلبار أوبرلين والسياحة في الصحراء، رحلة إلى الهقار لايمانويل قريفين

Hoggar Tuareg A comparative Study between The Book'In the Heart of the Mysterious Hoggar' by Emile Steinilber-Oberlin and tourism in the desert, A journey to the Hoggar by Emmanuel Grevin

- آمال هاشمي. أستاذة محاضرة -أ- جامعة أحمد بن بلة، وهران. hachemi_a@ymail.com

تاريخ الاستلام: 2024/01/05 تاريخ القبول: .2024/05/09 تاريخ النشر: 2024/11/01

ملخص: مع نهاية القرن 19م وبداية القرن 20 م، عرفت منطقة الهقار توافد العديد من الرحالة والمستكشفين العسكريين والمدنيين، الذين حرروا تقارير كثيرة وألفوا كتبا تنوعت مواضيعها من جغرافية وطبوغرافية وإثنوغرافية، وكان **هنري دوفريي** أول مغامر زار بلاد الطوارق وألف كتابه المشهور والمثير" طوارق الشمال" ، والذي جعل منطقة الهقار تستقطب الكثير من الباحثين والرحالة من كل أنحاء العالم، وكان من بينهم الكاتبان **أوبرلين وقريفين**، النموذجان البارزان اللذان أردنا من خلال مؤلفيهما أن نسلط الضوء على بلاد الطوارق، وذلك من أجل استنطاق ما جاء فيهما من معارف ومعلومات قيمة، للقيام بدراسة مقارنة بين الأول وهو: صحفي قدم لنا روبورتاجا وثائقيا بعد زياراته المتعددة لمخيمات قبائل الطوارق، وبين الثاني الذي كان يعمل في مطبعة بفرنسا، وقد قام برحلة سياحية، عرفنا -

من خلالها- على أهم المعالم الجغرافية والأحداث التاريخية التي ميزت بلاد الهقار.

كلمات مفتاحية: الطوارق، الهقار، القوافل، السياحة.

Abstract:

At the end of the 19th Century and the beginning of the 20th Century, the region of ElHoggar witnessed the arrival of many travellers and military and civilians explorers who produced many reports and books covering a wide range of topics such as geography, topography and ethnography Henri Duveyrier was the first adventurer to visit the land of the Tuareg and therefore wrote his famous and exacting book " The Tuareg of Ahaggar" which raised interest in the region and made it attractive to many researchers and travel hers from all over the world. Among them, we know "Oberlin" and "Grevin". Through their works, we aim to shed light on the land of the Tuareg in order to extract valuable knowledge and information so as to conduct a comparative study between, the first who was a journalist who presented a documentary report as a result of his several visits to the tribal camps of the Tuareg, While the second, who worked in a printing press in France, embarked on a tourist journey through which we learned about the most important geographical landmarks and historical events, that characterized the Ahaggar region.

Keywords: **Tuareg, Alhoggar, Caravans, Tourism.**

المقدمة:

من خلال هذه الورقة البحثية، حاولنا تسليط الضوء على منطقة الهقار خلال حقبة زمنية مهمة وهي ثلاثينيات القرن 20م، إذ عرفت الهقار توافد العديد من الشخصيات التي اختلفت وتنوعت تخصصاتهم ومآربهم، ومن بينهم اخترت مصدرين هامين دونهما كل من

أوبرلين(Stinilber-Oberlin) وإيمانويل قريفين(Emmanuel Grevin)، اللذين زارا تمنغاست في نفس الفترة، لكن تناولهما ووصفهما للأحوال وسردهما للأحداث، اختلف باختلاف الأهداف التي سطراها من خلال قيامهما بهذه الرحلات.

وبالتالي فطبيعة الدراسة كما تلاحظون وصفية، وما دفعنا إلى الاهتمام بها:

أولا: هو معرفة أوجه التباين والتطابق بين هذين المصدرين، بغية تتبع تاريخ الهقار خلال الفترة الاستعمارية.

ثانيا: التعرف على مجريات الأحداث التي مرت بها المنطقة، حسب كل مصدر لنتمكن من الخروج باستنتاج عام.

ومن ذلك انطلقنا من الإشكاليات الآتية:

- ماهي أوجه الاختلاف بين المصدرين في "قلب الهقار" و"رحلة إلى الهقار".
- ماهي دواعي وأهداف اختيار الرحالة الفرنسيين لمنطقة الهقار؟
- هل ساهمت هذه الكتابات في التعريف بتاريخ الهقار وساكنيه من الطوارق وفي إثرائه؟

وللإجابة عن ذلك، قسمنا الموضوع إلى قسمين هما:

- القسم الأول: التعريف بالمصدرين وبمؤلفيهما.
- القسم الثاني: عرضنا المؤلفين إلى دراسة مقارنة.

1- التعريف بالكاتب إيميل أوبرلين (E.Steinilber Oberlin) في قلب الهقار، الطوارق كما شاهدتهم.

ولد أوبرلين بتاريخ 20 جوان سنة 1878 بباريس، وهو سياسي وفيلسوف وكاتب ومترجم، اهتم بعلم الليسانيات، ويجهل تاريخ وفاته، درس الحقوق وتحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السربون، وخلال مشواره المهني، تقلد عدة مناصب سياسية، وفي نهاية شهر جانفي في سنة 1904م عين نائبا لرئيس ديوان مجلس النواب المسير من طرف هنري بريسون **(Henri Brisson)**.

وفي 1913/01/01 عين عضوا في اللجنة الاستشارية لشؤون السكان الأصليين، واهتم بالثقافة اليابانية، ترجم العديد من الأعمال باللغة الفرنسية، وله عدة مقالات ومؤلفات[1].

2 - التعريف بالكتاب: "في قلب الهقار: الطوارق كما شاهدتهم".

يحتوي الكتاب على 269 صفحة، طبع في 25 نسخة من الورق الهولندي المرقم، ونشر بدار النشر "بيار روجي (Pierre Roger)" بباريس سنة 1934م. والكتاب –كما يقول صاحبه- عبارة عن شريط وثائقي، يصف من خلاله "أوبرلين (Oberlin)" الرحلة التي قام بها إلى صحراء الجزائر، حيث انطلق من عين صالح متجها نحو تمنغاست، ويظهر من محتوى هذا المؤلف، أنه مذكرات ليوميات قضاها "أوبرلين" في مخيمات الطوارق، وقد قسم كتابه إلى مقدمة و 13 فصلا.

تناول في المقدمة مايلي:

1- Wiki Source, Consulter le 18/11/22 à 20h54.

- طموحه إلى الوصول إلى الكودية التي اعتبرها العالم الغريب، الذي أبهر هنري دوفريي (Henri Duveyrier) [2]، و قوتي (Gautier) [3] وغيرهم.
- سفره إلى تمنغاست كان بالحافلة، انطلاقا من الجزائر.
- رغبته الملحة في رؤية الطوارق الذين لم يجدهم، فراح يتساءل: "من يكون هؤلاء الطوارق الغرباء الملثمون؟ هل هم أصحاب طباع غريبة؟، هل حافظوا على شجاعتهم وفروسيتهم التي حكي عنها الكثير؟

وقد كان الرجل يود العيش والتعامل معهم والإقامة بينهم في خيامهم، فحقق ما كان يصبو إليه، حيث اختار مخيم الأمينوكال[4]

2- هنري دوفري (Henri Duveyrier): هو رحالة جغرافي ولد سنة 1840م، زار الجزائر وعمره 21سنة، حيث توغل نحو الصحراء وقضى هناك سنتين تحت حماية شيوخ الطوارق، وبعد عودته إلى فرنسا، أهدي له وسام ذهبي من طرف المؤسسة الجغرافية الفرنسية، وفي سنة 1892 توفي منتحرا بطلقة رصاص بباريس، ألف كتبا عدة منها : (voyage dans le pays de Beni Zab, 1859)، ينظر :

- Friedrich Sieburg, Traduit de l'Allemand par Maurice Betz, Visage de la France, Editions Magnard, Paris, 1948, p214.

- Narcisse Faucon, le Livre d'Or de l'Algérie, (1830-1889), Editeur Challamel et Cie, Paris, Tome1, 1889, pp222, 223.

3-قوتي (Gautier): هو Emile Felix ولد في 1864/10/29 بـ Clermont Ferrand كان مديرا بمدرسة بمذغشقر (Madagascar)، ثم اتجه إلى صحراء الجزائر في 1915/12/21. ثم نصب كأستاذ بجامعة الجزائر بتاريخ 1918/09/07، ينظر:

- Georges Gorrée, Les Amitiés Sahariennes du Père de Foucauld, B, Arthaud, Paris, tome2, 1946, p 274

4- الأمينوكال:الحاكم العام، ويطلق عليه أمين العقال.

أخاموك الذي كان ينتمي إلى قبيلة "كل إغلا"[5]. ولذلك نبه الكاتب لأمر هو أن القراء لم يتحصلوا على دراسة مماثلة لما كتبه تتحدث الدراسة عن عادات وتقاليد وطباع سكان الأهقار، بل يلزم ويحث الكثير من السياح على الاحتكاك بهذا المجتمع لمعرفة كل ما يتعلق بأصحابه، وكل ما يتعلق بهم على اختلاف طبقاتهم نبلاء كانوا أو خدما "ايهقارن أو إكلان[6]".

وأشار الكاتب إلى أن رحلته هذه أهلته إلى تدوين كل ما شاهده وسمعه، بدون أن يغير الأسماء فلم يستعمل المستعارة منها.

5- كل إغلا: هي من أهمّ قبائل الهقار، حاكمهم العام هو أمْنُوكَال وتتكون هذه القبيلة من عائلات نبيلة وهي إِنِمْبَا (Inemba) وابُوقْلَنْ (Iboglân) واكَرْمُوين (Ikerremoien) وتَجْهِي–ن-أَقْ- غَلِي (les Tegehe-n-Ag-Ali) وتَجْهِي-نْ-سَقَالْ (les Tegehé-n-sekkel) ولهم –جميعا- الحق في امتلاك الطبل. ينظر:

كِلْ غَلا: لقّبَهم الامغاد بهذا الاسم ومعناه الرجال الذين سعرهم غال، ينظر:

- Henri Lhote, les Touaregs du Hoggar, éditions Payot, Paris, 1955, p225.

6- إكلان: يلقبون بالطَمَاهَقْ إكْلاَنْ (Iklan)، مُفرده أَكْلِي (Akli)، مؤنثه تَاكْلِيتْ (Taklit). وهم زنوج من أصول مختلفة، امتلكهم النبلاء عن طريق الغزو أو سلب القوافل، أو باقتنائهم من أسواق السودان وتمبكتو، وهم يحتفظون ببعضهم في مخيماتهم، ويبيعون بعض الآخر في الأسواق، أو يستبدلونهم بالتمر والقماش والألبسة.ينظر:

- Henry Duveyrier, Les Touareg du nord, éditeur Challamel Ainé, Paris, 1864, p339.

وفي الأخير وجه شكره وامتنانه لكل من أفاده بمعلومات قيمة وصور ثمينة ساعدته على إتمام دراسته ومنهم: "إلي لوبلون (Ely Leblanc)" (عميد كلية الطب بالجزائر) وفولي (H.Foley) (رئيس مصلحة باستور بالجزائر).

شملت هذه الدراسة بعدين: البعد الأول: تمثل في أنها عبارة عن مادة خبرية مهمة تنوعت بين وصفه للطبيعة بما فيها من وديان ورمال وصخور، وبين الطرقات والممرات في المنطقة.

أما البعد الثاني للدراسة فقد أخذ شقين هامين؛ الأول: إثنوغرافي والثاني أنتروبلوجي، حيث نجد بأن الكاتب أثناء إقامته مع الطوارق كان غرضه التقصي وتحري كل ماله علاقة بحياة الطوارق، حواراتهم، لباسهم، وجباتهم، تجمعاتهم، مناسباتهم، قصصهم، أساطيرهم، أمثالهم، سهراتهم وأثاثهم، ولوازم حياتهم، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة، تخص حياة الطوارق إلا وتناولها بالبحث، ولم يُهْمِل أدق الأمور حتى وإن بدت تافهة فقد خصص لها صفحات كاملة.

ومن خلال ما قرأناه استطعنا استنباط معلومات كثيرة لا يسعنا الوقت أن نذكرها، ولذلك ارتأينا أن نركز على النقاط الأساسية وهي كالآتي:

بمجرد وصول الكاتب إلى مدينة تمنغاست تلقى دعوة لزيارة الحاكم "أخاموك أق إيهما" قريب موسى أق أمستان[7]، فلبى الدعوة

7- موسى أق أمستان: كان من نبلاء وأشراف الطوارق، ولد سنة 1867 عرف بالذكاء، توفي سنة 1920، ينظر:

وتنقل إلى مقر الاستضافة الذي كان يبعد عن تمنغاست بـ 40 كلم عند أسفل مرتفع أقراقار(Akarakar) وعند وصوله دخل الخيمة حيث رحب به بحفاوة، إذ وجد جمعا غفيرا من الضيوف في انتظاره ومنهم الحاكم العام وعائلته، بالإضافة إلى الشبان[8]الذين لم يكن الرجل يأمنهم، وأثناء تبادل الحديث شعر هذا الأخير بعدم الارتياح، وهذا حينما وجه لهم سؤالا: أين أسلحتكم؟ فأجاب أحدهم: بأن الجيش الفرنسي سَلَبَهُم حريتَهُم وفروسيَتَهم وقيَّدهم ومنعهم من حماية الطرقات وتأمين القوافل وتسلم الضرائب، فقد جردوا من أسلحتهم.

هذا الكلام جعل الكاتب يستشرف مستقبل هؤلاء، فباستطاعتهم أن ينشئوا حزبا وطنيا يدافعون -من خلاله- عن حريتهم، وعن ممتلكاتهم وبالتالي قد يفاجئون فرنسا في المستقبل.

- Michel Carrouge, Charles de Foucauld, Explorateur Mystique, éditions du Cery, Paris, 1954, p381.

8- الشبان هم: باي(Bai): ابن أخاموك، ليتني(Litni): وهوالمستشار الخاص للأخاموك، سيسان أق بركة(Sissan ag Barka)، تلاتي أق إسمان(Talati ag Ismane)، داريتو أق إبراهيم(Darietou ag Ibrahim)(وهم من النبلاء)، -وأوكسام(Ouksem): شيخ داق غالي(كان من المقربين إلى القس شارل دوفوكولد لما كان شابا)،أما الشبان فهم: مغلي أق أمايس(Maghli ag Amayas)، وأهبرير أق سغدون(Ahbrer ag Saradoun)، وداريتو أق أورزيق(Darietou ag Ourzig)، وسالمي أق أوخا(Salemi ag Okha).ينظر:

-E.Steinilber-Oberlin , Au cœur du Hoggar mystérieux, Les touareg tels que je les ai vus, Editions Pierre Roger, Paris, 1940, pp42-45 .

ولذلك أدرك تلك العداوة والبغضاء التي يكنونها في قلوبهم لفرنسا، خاصة بعد هزيمة الطوارق في معركة تيط[9] عام 1902، فقد كانوا يرددون عبارة "كان الجو جميلا".

أما بخصوص الأمينوكال، فكان يسرد يومياته حينما زار الجزائر خلال عام 1930، حيث انبهر أمام التراماوي والقاطرة التي كان بها مغسل "لليدين وهاتف وآلة للموسيقى كما أعجب بالصينية الفضية التي أهداه إياها الحاكم العام[10].

وأمام ترحاب العائلة وخاصة زوجة "الحاكم دملة" التي حضرت الشاي بالنعناع، شعر الكاتب بالراحة والأمان، فتوافد العديد من الضيوف لرؤية هذا الغريب الذي أحضر لهم الهدايا

9- معركة تيط (Tit) : في ربيع سنة 1902 أرسل كوفي (capitaine Cauvet) فيلقا عسكريا تحت قيادة كوطنست (Lieutenant Cottenest) لملاحقة فرقة من الطوارق قامت التعدي على قافلة تابعة لعرب تدكلت، فانتصر عليهم بعد مقاتلتهم في منطقة تيط يوم 1902/05/07م، حيث كلفت الطوارق هذه الهزيمة خسائر كبيرة، أثرت في نفسيتهم، ووضعتهم بين خيارين: " الخضوع أو التمادي في النهب والسرقة". ينظر :

- Léon Lehuraux, Le Conquérant des Oasis Colonel Théodore Pein, Typographie Plon, Paris, pp 101-107.

تيط: هي منطقة تقع على ضفاف واد تيط، تبعد عن تمنغاست ب 50كلم، تعرف بكثرة الجفاف وقلة السكان، عدد أكواخها 15 كوخا (زريبة) ومعظمهم من الحراطين، ينظر:

- Georges Gorée، Les Amitiés Sahariennes du Père de Foucauld, Op.Cit, p 331.

10 -E.Steinilber-Oberlin, Au cœur du Hoggar mystérieux, Les touareg tels que je les ai vus, Editions Pierre Roger, Paris, 1940, pp43-44-55-56-57-58 .

المختلفة، ومن بين الضيوف المرأة داسين[11] الشخصية التاريخية الهامة التي أصبحت عجوزا عرجاء[12].

وعمد الرجل على زيارة خيام الطوارق، إذ يقول إنه وجد متعة في التعايش والتعامل معهم وتبادل الزيارات.

كما تردد الرجل على زيارة خيام الطوارق كلما حلت مناسبة: كميلاد طفل، أو سماع قصص تحكيها العجوز "فافة" كل أمسية للأطفال حول تلك النار الهادئة، إذ يعلق الكاتب بأنه قد دون مقالات من خلال سماعه هذه الحكايات الناذرة والمشوقة [13].

أو الإنصات بتمعن لوقائع كان يرويها "المرابط محمد الكفيف" الذي كان شاهد عيان على أحداث عديدة جرت عند الطوارق، لذلك كان يستحضر كاتبا خاصا كلفه بتدوين تلك الملاحم (Ansar Ag Amder) من حروب مشهورة بين الكونتيين والطوارق، أو القتال الذي دار بين "كل إغلا" [14]و"تيطوق"[15].

11- داسين (Dassine): تدعى داسين أولت يمة كانت فائقة الجمال وهي بنت عم موسى أق امستان، عرفت بقول الشعر وإنشاده، حيث منحت لشارل دوفوكو 1200 بيت شعري، توفيت سنة 1935 ودفنت بتمنغاست ينظر:

- A. Maraval Berthoin, Dassine sultane du Hoggar, Editeurs Fasquelle, Paris, 1951, p16.

-E.Steinilber-Oberlin, op.cit, pp40-50-51.

12-E.Steinilber-Oberlin, op.cit, pp40-50-51.

13-E.Steinilber-Oberlin,op.cit, pp77-81-145-150.

14-E.Steinilber-Oberlin,op.cit, pp150-157.

15- قبيلة تيطوق(Taitok) : هي من أهم قبائل الهقار، التي تصنف ضمن النبلاء، وهم من البدو الرحل، الذين كانوا يرعون بين الأهنط (Ahnet) والأيير (Air)، ولم يتعد سكانها 130 شخصا سنة 1908، ينظر:

ثم انتقل الكاتب لوصف قبيلة الزنوج وهم الملقبون بإكلان، ويذكر الكاتب أن هؤلاء كانوا عبيدا في الأصل. واليوم هم أحرار، وقد بقي الكثير منهم خادما عند سيده، يقدم له خدمات جليلة كحلب الشياه وعلاج الرضع والمرضى وطحن البشنة، كما أن العديد من الإكلان فضلوا البقاء مع أسيادهم النبلاء ضمانا للأمن وحسن التعايش الذي يوفرونه لهم[16].

والجدير بالذكر أن الكاتب لاحظ بأن الخدم يعاملون معاملة حسنة ووضعهم هذا جعلهم مستشارين عند النبلاء لا يستطيعون الاستغناء عنهم، إذ أصبح إكلان يتاجرون بأسماء "ايهقارن" ويقودون قوافلهم التجارية، ومن نماذج ذلك "إكلان شرناش" الذي كان يثق فيه الأمينوكال وهو اليوم يحمل "الطكوبا" متباهيا بها، وحينما يغيب الطوارق أو يسافرون بعيدا، فإنهم يستأمنون خدمهم أبنائهم وممتلكاتهم[17].

ثم قام الرحالة بزيارة مخيم داق غالي[18] للاطلاع على حياة وطباع ساكنيه من الطوارق، وكان أحد الضباط قد أشار عليه أن يعرج على "أوكسام" وهو شيخ داق غالي الذي وجده "أوبرلان" قاضيا يفصل في المنازعات بين الأهالي. وحقيقة زيارة –أوكسام- بالضبط هي

- Georges Gorrée، Les Amitiés Sahariennes du Père de Foucauld, Op.Cit, p 349.

16 -E.Steinilber-Oberlin, op.cit, pp160-162.

17 -E.Steinilber-Oberlin, op.cit, pp161-162-163.

18- داق غالي: هي عشيرة ذات مكانة محترمة، حيث كان أهلها أصدقاء الأمينوكال ويشاركونه الأعمال والنصائح. ينظر:

- Henri Lhote, Les Touaregs du Hoggar, Op.cit, p 225.

مرافقة هذا الأخيرل"شارل دوفوكولد" [19] في رحلة إلى باريس عندما كان يبلغ من العمره 13 سنة[20].و كان هذا فضولا من الكاتب لمعرفة سر إقامة القس شارل دوفوكولد بتمنغاست.

ثم إن إقامة أوبرلين بمخيم إمغاد "كيل ألوي"(kel oulli) جعلته يكتشف أمورا لم يجدها عند إيهاقران، باعتبار الامغاد هم أكثر مثابرة وجدية، إذ كانوا يهتمون بزراعة الأراضي وتربية المواشي وحلب الشياه وصناعة الجبن[21]، فوجد اختلافا وفارقا شاسعا بينهم وبين النبلاء، فقدم الكاتب انطباعا حول مخيم كل ألوي فقد تعجب من حديثهم "إينولي أق أفاديت"[22] عن المجاعة والجفاف ونقص الأمطار والمياه عكس سهرات "إيهقارن" التي كانت لا تخلو من الضحك واللهو والمرح[23].

19- شارل دو فوكولد: شارل دو فوكو (Charles de Foucauld): هو قسيس من الآباء البيض، ولد بتاريخ 1858/09/16 بستراسبوغ (Strasbourg)، عاش في بني عباس ما بين 1900 و1904، حيث بنى هناك أول منسك، ثم انتقل إلى تمنغاست سنة 1905م وليستقر فيها إلى أن قتل سنة 1916 من طرف الطوارق، ينظر :

- Georges Gorrée, Op.Cit, pp24-30.

20 -E.Stinilber-Oberlin, op.cit, pp177-178-179-.

21 -Ibid, pp187-188-89-190.

22- إنولي أق أفايدت(Inouli ag Ifadit): هو أحد أعيان فئة كل إلوي، زوجته سخارة (Sakhra)وابنه الأكبر تلاسو(Talasso)، ينظر:

-Ibid, p 186.

23 -Ibid, P175-180-182-187.

وفي الأخير توصل الكاتب إلى أن ايهقارن نبيل بطبعه، لكنه متسول يتحصل على الحليب والجبن والبشنة باللجوء إلى كل ألوي، الذين أصبحوا أثرياء ملاكا لأراضي فلاحية شاسعة.

المصدر الثاني؛ تعريف: "إيمانويل قريفين"

ولد سنة 1880م بفرنسا وتوفي سنة 1948م، كان عاملا في مؤسسة خاصة بالطباعة، ألف العديد من المؤلفات منها: " Djerba lile heureuse et le sud Tunisien"، جربة الجزيرة المسرورة والجنوب التونسي، و"Rivages du grand erg"[24] شاطئ العرق العظيم.

ومن المؤلفات التي دونها ايمانويل قريفين (Emmanuel Grevin) "سياحة إلى الصحراء، سفر إلى الهقار"، وهو عبارة عن كتيب عدد صفحاته 210 صفحة طبع بدار نشر المخزن (Stock) بباريس عام 1836/08/02، وقسمه الكاتب إلى 20 فصلا.

- والمؤلف عبارة عن رحلة سياحية حاول صاحبه من خلالها جلب السياح الفرنسيين إلى اكتشاف خبايا الصحراء وخاصة مرتفعات الهقار[25].

- لوحظ في مقدمة الكتاب: أن الكاتب طرح نفس السؤال، من هم الطوارق؟

- انضم الكاتب إلى جمعية أصدقاء الصحراء[26] التي نظمت وبرمجت هذه الرحلة والتي كان رئيسها مقيما بالجزائر، وكان يتابع تفاصيل الرحلة عن كثب (Georges Estienne).

24 -wiki pédia consulter le 30-06-2022 à17h40.

25 -Emmanuel Grevin, Tourisme au Sahara, voyage au Hoggar, librairie Stock, Paris, 1936, pp9-12.

- وفرت هذه الجمعية حافلة (S.A.T.T) تابعة للمؤسسة الجزائرية للنقل الاستوائي.

- تسير هذه المؤسسة 9 فنادق منشأة بالأبراج.

- وأطنب الكاتب في الحديث عن التحضيرات والأمتعة والمعدات المخصصة للرحلة إلى تمنغاست.

- الرحلة متواصلة عبر الحافلة التي تتوقف كلما شعر المسافرون بالتعب لطول المسافة.

وبعد التوقف بغرداية يأتي دور المنيعة التي اعتاد الكاتب زيارتها في سنوات خلت، ولكن هذه السنة سيجد فيها حدائق غناء، وأشجار مثمرة، وآبارا أرتوازية.

وبعد القليعة حطت الحافلة رحالها بعين صالح، فوجدوا سكانها يحتفلون بعيد الأضحى في أبهى حلة[27]. ورغم صعوبة الطريق وصلت الحافلة إلى تمنغاست فأخذ الكاتب بنصيحة الضابط العسكري: يجب التعامل بود مع الطوارق، حينها التقى الكاتب بفرسان الصحراء، الذين كان ذكر اسمهم بالأمس مخوفا[28]. ولكن اليوم ضعفت قوتهم وعزيمتهم بعد هزيمتهم في معركة تيط، فالجيوش

26-جمعية أصدقاء الصحراء: خلال سنة 1922م ألف الجنيرال مينير مدير الأقاليم الجنوبية بمعية الضابط العسكري نابل الدليل السياحي الخاص بالصحراء وكانا من مؤسسي جمعية أصدقاء الصحراء في شهر أبريل عام 1927م. ينظر:

-Colette Zytnicki, Bienvenue en Algérie coloniale, L'Histoire, mai, 2023, consultée le 30-09-2023 à 3h 40.

27 -Emmanuel Grevin, op.cit,pp19-20-56-57.

28 -Ibid, pp80-86-103.

الفرنسية حاربت وقضت على المحاربين واستولت على أراضيهم وأملاكهم وعلى قوتهم المهيبة [29].

وعند وصول الكاتب إلى تنمغاست اهتم بوصف شارعها الرئيسي الواسع ومنازلها الفاخرة (الفيلات) دون أن ينسى الحديث عن مستوصف خاص بالأهالي والفندق الصغير الهادئ، ثم أشار إلى منازل الأهالي التي كانت نظيفة ومنظمة بشكل جيد، ثم عرج على المطعم الصغير المريح والمسبح المائي المحاط بالجدران[30].

أما الولوج إلى البرج العسكري فهو مشروط بإحضار رخصة من القائد العسكري وبرفقة الحاجب الشعانبي، ولكن الصعود إلى قمة الأسكريم لا يتم إلا تحت حماية الجيش الفرنسي برفقة المرشدين الطوارق والشعانبة[31].

وكاستنتاج عام لوحظ مايلي:

- رغبة إيمانويل قريفين في الالتقاء بالطوارق لم تكن بالشكل الملح كزميله "أوبرلين"، فإمانويل اكتفى بطرح أسئلة على مترجمه"مولاي"[32]فراح يدون ذلك بطريقة روتينية عن فئاتهم السكانية ولغتهم وخطهم ومعتقداتهم، لكن لا نخفي بأنهما تشابها في بعض النقاط وهي:

- الاطلاع على حياة شارل دوفوكولد واغتياله.

29-Ibid, pp104-105.

30 -Emmanuel Grevin, op.cit, p93-96.

31-Ibid, pp96-97

32- المترجم مولاي:كان خوجة عند الأمينوكال، ينظر:

-Ibid, p 118.

- الاطلاع على حياة "داسين" التي كانت تحيي سهرات الآهال[33].

- الصعود إلى مرتفع الاسكريم وزيارة منسك الراهب فوكولد.

- وفي الأخير توصل الكاتبان إلى أن الطوارق شجعان وأوفياء ومخلصين وأذكياء وكرماء ومضيافون، وأصحاب صبر وتجلد، باستطاعتهم البقاء عدة أسابيع بدون أكل وشرب.

وبالتالي فإن هذين المصدرين قدما لنا دراسات وافية ومفيدة، لولاها ما اطلعنا على تاريخنا إذ تعتبر من أمهات الكتب.

-نقاط التشابه والاختلاف بين المصدرين:

من خلال دراسة المصدرين لوحظ بأن كليهما كان هدفه الوصول إلى تمنغاست والالتقاء بالطوارق وصعود الاسكريم أين بنى شارل دوفولوكلد منسكه[34]، ففي مؤلفيهما اشترك الكاتبان في نقاط لخصتها في وصف الطوارق وفئاتهم ولباسهم وعاداتهم وتقاليدهم[35]. كما اختلافا في نقاط عديدة أخرى، وذلك نظرا للأهمية التي أولاها كل منهما لدراسته ؛ فأبرلين كان صحفيا وأراد أن يحضر شريطا وثائقيا يكشف-من خلاله- عن تفاصيل حياة الطوارق، أما قريفين فكانت

33- سهرات الأهال: تلقب بالأهال، وهي سهرات موسيقية غرامية تقام في مخيمات الطوارق، بمناسبة الاحتفال بعرس أو الانتصار في غزو، أو الاستعداد لحرب أو قتال، تقام بعيدا عن الشيوخ، إذ يحضرها الشبان، ذكورا وإناثا، ومن يقود الفرقة الغنائية، امرأة تعزف آلة الإمزاد، وتغني الأشعار، وتردد بعدها النسوة، ينظر:

- Henri Lhote, les touaregs du Hoggar, Op.Cit, pp 330, 331.

34-Grevin, Op.cit,p p135-136, 140-141.

35-E.Steinilber Obertlin, Op.cit, pp105-109.

وجهته سياحية إذ ركز كثيرا على وصف المدن الصحراوية التي مر عليها فمثلا راح يصف سكان عين صالح وهم يحتفلون بعيد الأضحى الذي يعتبر يوم عطلتهم، فوجدهم يتنزهون ويتباهون بالألبسة الحريرية المزركشة بالألوان الزاهية كالأزرق والوردي، كما علقت التزيينات بالشوارع، وكل السكان يحتفلون في ساحة القصر، فالرجال يرقصون حاملين البنادق القديمة، والنسوة يزغردن ويضربن الطبول، ورائحة البخور تمتد وتفوح من بعيد [36].

وإضافة إلى وصف المدن، كان الكاتب يركز في كتابه على الحديث عن الأجانب الذين التقى بهم، ومنهم زوجان فرنسيان مصوران، غادرا بسيارتهما متجهين، نحو تشاد بعد أن أخذا صورا تذكارية، ويروي أن سيارتهما تعطلت ونفذت مؤونتهما فلم يعد أمامهما، إلا أخذ بعض الصور وبيعها للسياح المقيمين بفندق البرج، وقد يضطران غالبا إلى مساعدة أصحاب الفندق في غسل الأواني وترتيب الغرف مقابل أجر زهيد يوفرانه ليتمكنا من العودة إلى الجزائر[37]، دون أن ننسى المصور (Nivelet) الذي وجدوه عند وصولهم إلى الأيسكريم حيث أقام بهذا المكان لمدة تتجاوز 20 يوما[38]،وقد أعجب بالمكان الذي كان يراه مميزا وشاعريا خاصة وأنه يتخيل فيه حركات شارل دوفوكولد، وهو يعيش في عزلة[39] بمنسكه إذ نجد أن أوبرلين يشترك في هذا التصور والحديث عن شارل دوفوكولد

36-Grevin, Op.cit, pp55-56.

37-Ibid, p76-73.

38-Ibid, p179-185.

39-Ibid, p1.

الذي كان يسير مشيا على الأقدام من بني عباس إلى المنيعة ومنها إلى تمنغاست، كما تساءل الكاتبان عن داسين المرأة الطارقية التي أحبها الجميع؛ أما أبرلين فقد تمكن من رؤيتها وهي عجوز عرجاء، ولكن قريفين فلم تسنح له الفرصة، لأن المرأة كانت قد توفيت، ويشترك الباحثان في وصف ما شاهداه عند الطوارق من حلي ولباس وتمائم لا يتخلى عنها الطارقي في خروجه، فهي تبعد عنه الحسد والعين والجن وتحميه من كل سوء أو أذى.

كما يتفق الرجلان في وصف الطوارق بحبهم للهدايا التي من كل زائري تمنغاست، كالنظارت والبرانيس والدمالج للنساء والروائح بدون أن ينسى السكر والشاي[40].

-الخاتمة:

وفي الأخير أدركنا أهمية المصدرين، فقد قدما لنا دراسة مفيدة ووافية حول حياة الطوارق وبيئتهم الشاعرية الساحرة، ونجد أبرلين يتناول بعض النقاط التي تحتاج إلى تعليق ودراسة مقارنة، وكثيرا ما نجد المؤلفين يهجوان الطوارق باعتبارهم أنهم يتصفون باللباقة والنبل والاحترام، وهادئون وأذكياء والبعض الآخر يصفهم (خاصة أبرلين) بأنهم طماعين ومحبين للهدايا

40-E.Steinilber Obertlin, Op.cit, p p49-50.

وفضوليين كثيري الضحك والثرثرة، وبعض المرات يرى في شبابهم حيرة وصمتا وغموضا فلا يأمنهم (أوبرلين)، لكن قريفين لم يجالسهم بكثرة إلا بعض الشهادات التي أدلى بها الضابط العسركري لناحية تمنغاست إذ قال عنهم "يجب التعايش معهم... فبالأمس كان الطارقي يخشى منه، فالطوارق كانوا غزاة ومحاربين يجمعون الضرائب[41]، ويحرسون القوافل ويؤمنون الطرق للقوافل[42]"، كما كانوا أوفياء وذوي خبرة بالطرقات والممرات في الصحراء، إذ استعان بهم الفرنسيون في جولاتهم ورحلاتهم واكتشافاتهم، وخاصة عندما كانوا يقصدون وجهتهم المفضلة وهي قمة الاسكريم ذات المياه العذبة.

وككل عاشق للمغامرات، فإن أبرلين كشف لنا عن سر يخفيه، وهو تعلقه بالطوارق الذين وصفهم بالأصدقاء، وأنه إذا غادر الصحراء فسوف يشتاق إليهم، إلى من وجد فيهم طبائع ومعتقدات جعلت قلمه يبدع في الكتابة عنهم.

41-Grevin, Op.cit, pp98-99.
42-Ibid, pp108-109.

قائمة المصادروالمراجع:

- A. Maraval Berthoin, Dassine sultane du Hoggar, Editeurs Fasquelle, Paris, 1951.
- Colette Zytnicki, Bienvenue en Algérie coloniale, L'Histoire, mai, 2023, consultée le 30-09-2023 à 3h 40.
- E.Steinilber-Oberlin, Au cœur du Hoggar mystérieux, Les touareg tels que je les ai vus, Editions Pierre Roger, Paris, 1940.
- Henri Duveyrier, Les Touaregs du nord, éditeur Challamel Ainé, Paris, 1864.
- Emmanuel Grevin, Tourisme au Sahara, voyage au Hoggar, librairie Stock, Paris, 1936.
- Friedrich Sieburg, Traduit de l'Allemand par Maurice Betz, Visage de la France, Editions Magnard, Paris, 1948.
- Georges Gorée، Les Amitiés Sahariennes du Père de Foucauld,B, Arthaud, Paris, 1946 .
- Léon Lehuraux, Le Conquérant des Oasis Colonel Théodore Pein, Typographie plon, Paris, 1935 .
- Michel Carrouge, Charles de Foucauld, Explorateur mystique, éditions du Cery, Paris, 1954 .
- Narcisse Faucon, le Livre d'Or de l'Algérie, (1830-1889), Editeur Challamel et CIe, Paris, Tome1, 1889.
- wiki pédia consulter le 30-06-2022 à 17h 40.
- Wiki Source, Consulter le 18/11/22 à 20h54.